الضحيــة ..

بينما وقوفي وتطلعي عبرالطريق في انتظارٍ مرير في صيفٍ شديد القيظ،أنال بُغيتي وأصعدُ الحافلة القادمة، ريثما يتسني لي استلقاط الأنفاس كالمستغيث من الرمضاء بالماء، ها هي تختال بعجلاتها من بعيد، تنفست الصعداء، طويت نفسي داخلها وسط الزحام الشديد، قد طال الانتظار، وضعت قدمي المتعبة في ركن أويتُ إليه بعد اختراق الواقفين، كأنني أطوف بحثاً عن ماء، كلمّا جاءت محطةٌ سرعان ما تهلُ نسمةٌ رقيقةٌ تنعشُ المكان ، بدأت الفراغات تأتي ثمارها في إحدى المحطات صعد بعض الشباب يتصايحون عالياً بفرح وسعادةعلى وجوههم سماحة، حسبتهم يعملون في مصنع، يتبادلون الأحاديث قال أحدهم: أنا تركت أبويا وهو مريض والحمد لله الطبيب طمنّا عليه، وآخر مخاطبأًله: أنا فرح أختي آخر الشهر إن شاء الله أحضره رد عليه آخر إن شاء الله نحضره ونرقص كمان، أخذ أحدهم نفساً بعمق ثم قال: أنا زوجتي ستضع مولوداً لي سأكون أباً ثم صمت، تحدث أطولهم وقال : لقد تركنا خلفنا حمزة وجمعة وعلى لم تمكنهم الزحمة من الصعود، أجابوه: إن شاء الله عندما نصل نجدهم وصلوا ونستطيع الحديث أثناء ارتدائنا الملابس العسكرية أو لحقتنا الشهادة وكنّا من الشهداء ، وقعت هذه الكلمات على أذني وقعاً أليماً ما إن هبطوا وفاضت عيناي بالدموع.